الأدوات النحوية في لغة الإعلام. رصداً وتقويماً

د .محمد بن سعد الشقيران

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وصحبه الغر الميامين. أما بعد،

فإن الله شرَّفنا نحن العرب بأن أنزل هذا الكتاب العظيم بلغتنا. وبقدر هذا الشرف تعظم المسؤولية، فنحن مؤتمَنون على رعاية هذه اللغة التي نزل بها هذا الكتاب العظيم.

وإن الخطأ من طبع البشر. وإن من أعظم الخطأ ما يكون في هذه اللغة العظيمة. لذلك سعى علماء العربية الأقدمون والمتأخرون إلى حماية هذه اللغة، وشرعوا يبينون للعامة وللخاصة ما وقعوا فيه من أخطاء.

وقد عزمت في بحثي هذا – إن شاء الله – على أن أذكر شيئاً قليلاً مما وقع فيه الإعلاميون والخطباء والوعاظ من أخطاء لغوية، وهي نموذج فقط، وأنا ساعٍ في استكمالها، بإذن الله ، فقد أحصيت ما يقارب ستين أداة يقع فيها الخطأ، وهي في طريقها لرؤية النور، بإذن الله.

منهجي في التخطئة والتصويب:

عرض الجملة التي حدث فيها استعمال الأداة خطأ .

تحديد الأداة التي حصل فيها الاستعمال الخاطئ .

موازنتها بالأداة الصحيحة التي أهملت .

ذكر معنى تلك الأداة في الاستعمال الخاطئ .

ذكر معنى تلك الأداة في الاستعمال اللغوي الصحيح .

مصادري في التخطئة والتصويب:

- القرآن الكريم ، فإذا كانت الأداة موجودة في القرآن العظيم أوردتها، وذكرت معناها، ثم عرضت الجملة التي وقع الاستعمال الخاطئ فيها، ثم وازنت بين الاستعمالين، حتى يتبين للقارئ الكريم خطأ المحْدثين حينما أوردوها في مثل ذلك الموطن.
- السنّة النبوية المطهرة.
- أشعار العرب الفصحاء، وليسوا المتأخرين أو المولدين.
- كتب الأدوات النحوية، كـ (رصف المباني للمالَقي، و(الجنى الداني) للمرادي، و(مغني اللبيب) لابن هشام الأنصاري. والمعاجم اللغوية، كـ (لسان العرب) لابن منظور.
- الاستحسان أحياناً. واستحساني ليس مقياساً للصحة والخطأ، ولكنّ بعد عرض الاستعمال الخاطئ، وموازنة الأداة فيه باستعمال آخر من عندي، متضمناً أداة أخرى غير المُوْرَدة، قد أصل إلى اقتناع بأن الأداة الأخرى التي جعلتها مكان الأداة التي وقع فيها الخطأ، أنها هي الأولى والأجدر.

تراث السابقين في هذا الموضوع:

لم يألُ آباؤنا الأولون في المحافظة على هذه اللغة العظيمة، لغة القرآن العظيم، وردِّ من خالف السَّنن العربي فيها إلى جادة الصواب. ولا أدلَّ على ذلك من فزع الإمام أبي الأسود الدؤلي – رحمه الله – يوم سمع من يلحن من أهله الأقربين، ثم نهوضه بوضع قواعد لردِّ الناس عن اللحن، وإقامة العربية فيهم إقامة صحيحة.

ولا يزال علماء العربية الأجلاء ماضين على هذا السنن، يردُّون الناس إلى جادة الصواب. وممن اشتهر بذلك:

١-الفراء في كتابه: (ما تلحن فيه العامة).

٢- وحمزة الأصفهاني في كتابه: (التنبيه على حدوث التصحيف).

٣- وابن خالويه في كتابه: (ليس في كلام العرب).

٤- وأبو بكر الزُّبيدي في كتابه: (لحن العوامّ).

٥- وأبو أحمد العسكري في كتابه: (شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف).

٦- والحريري في كتابه: (درَّة الغوَّاص في أوهام الخواصّ).

٧- والخطَّابي في كتابه: (إصلاح غلط المحدِّثين).

٨- وابن هشام اللخمي في كتابه: (المدخل

إلى تقويم اللسان).

٩- وابن برّي في كتابه: (غلط الضعفاء من الفقهاء).

١٠- وابن الحنبلي في كتبه:

أ) سهم الألحاظ في وهم الألفاظ.

ب) وعقد الخِلاص في نقد كلام الخواصّ.

ج) وبحر العوَّام في ما أصاب فيه العوَامُّ.

١١- وابن بالي في كتابه: (خير الكلام في التقصّي عن أغلاط العوامّ.

الهدف من الدراسة:

- إعادة النسق العربي الفصيح في استعمال أدوات النحو العربي.
- تصحيح معاني أدوات النحو العربي التي قد تفهم خطأ فتستعمل خطأ.
- ربط رجال الإعلام وغيرهم بالتراث العربي الأصيل.

نماذج مخضعة للدراسة:

(١) بادئَ ذي بَدْءٍ

تسمع من بعض الخطباء والوعاظ والإعلاميين وغيرهم من يقول في ابتداء كلامه بعد التسمية والحمد والصلاة على الرسول، صلى الله عليه وسلم: (بادئَ ذي بَدْءٍ). وهذه العبارة بهذه الصيغة صحيحة لغةً وأسلوباً، ولا غبار عليها، ولكنَّ الخطل جاء إليها من استخدامها في هذا الموطن بهذا الأسلوب، فإن الناطق بها يظن أن معناها: (في بداية حديثي إليكم). وليس هذا معناها الذي أراده العربي، الناطق الأول لها، وإنما مقصوده: (أتوجَّه إليكم بادئاً حديثي بالأمر المهم الذي يستحق أن تكون البداية به).

ولو أتيح لنا أن نتصرَّف في هذه الجملة لقال المتحدث: (بادئاً ذا بدء). فـ (بادئَ) في قول العربي حالٌ منصوبة، وعاملها محذوف، تقديره: (أتحدثُ) أو (أنطقُ)، أو لعل العربي نطق بعاملها صريحاً، ولكنَّ المحْدثين هم الذين تصرَّفوا فحذفوه. وصاحب الحال هو الضمير المستتر الذي تقديره: (أنا)، فسَبْكُ الجملة: (أتحدث إليكم، بادئَ ذي بدء).

(٢) سين الطلب

مما يرد فيه الخطأ من بعض الإعلاميين وغيرهم: إدخال سين الطلب على المضيف، وليس على الضيف. وإنما خصصت الضيافة لأنها هي التي يقع فيها الخطأ. مثالاً:

(استضافت دولة الإمارات العربية المتحدة المؤتمر العالمي للُّغة العربية). ويقصد بذلك – بلا شك – الأعضاء المشاركون فيه، وليس المؤتمر نفسه. وليس الحديث هنا، وإنما الحديث في كلمة (استضافت)؛ فدولة الإمارات – حماها الله من كل شر- هي المضيف، وليست الضيف، وإنما تكون السين في طالب الضيافة، فإذا قلنا: (استضافت دولة الإمارات العربية المتحدة...)، فإن معنى هذه الجملة أنها طلبت أن تكون ضيفاً لا مضيفاً، قال تعالى: ((حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها...)) فالمعنى أن موسى عليه السلام والخضر طلبا الطعام من أهل تلك القرية.

فالصواب أن يقال: (أضافت). فإن قال قائل: فقد يلتبس هذا المعنى بمعنى آخر هو (إضافة الشيء إلى غيره). فيقال: نستبدل بكلمة (استضافت) كلمة أخرى معبرة هي (رعت)، أو (احتوت). و(رعت) بلا شك أقرب إلى المعنى المقصود، والله أعلم سبحانه.

(٣) نون الوقاية

مما يرد فيه اللبس عند بعض الإعلاميين والخطباء وغيرهم: نون الوقاية ونوع الفعل، قال تعالى: ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)).

يظن البعض أن هذه النون نون إعراب الفعل المضارع، وإنما هي نون الوقاية، وبعدها ياء المتكلم، ولكنها تحذف عند الوقوف.

والشيء بالشيء يذكر، فإذا كان الحديث في نون الوقاية، فإن لي ملحظاً على هذه التسمية في مثل الآية الكريمة السابقة، فإن هذه التسمية وهي (نون الوقاية) إنما تصدق على النون التي تكون بين آخر الفعل الصحيح، ماضياً كان أو مضارعاً أو أمراً، وبين ياء المتكلم.

مثالاً: (أكرمَني)، (يكرمُني)، (أكرمْني)، فإن هذه النون التي بين آخر الفعل وياء المتكلم وَقَتْ، آخر الفعل وحمتْه من أن يُكْسر، وبقي على حركته التي كان عليها قبل أن تصحبه ياء المتكلم. أما النون التي في مثل قوله تعالى: ((إلا ليعبدون))، فإنه لم يصدق عليها أنها وَقَتْ آخر الفعل من الكسر، وهو لم يكسر أصلاً؛ فتقيَه، وإنما هذه النون محمولة في التسمية على نون الوقاية.

وقد أتي بها في مثل هذا الموطن دفعاً لالتقاء الساكنين، وهما واو الجماعة، وياء المتكلم، فكلتاهما ساكنتان.

ومثلها النون التي في آخر الفعل المعتل، نحو: (سقاني)، (يسقيني)، فإن هذه

النون إنما أتي بها دفعاً لالتقاء الساكنين، وهما الحرف المعتل وياء المتكلم.

وأرى أنْ لو سمِّيت هذه النون (نون النقل) لكان ذلك أدقَّ في التعبير.

وأرجو أن يسمح لي القارئ الكريم بعرض حرف آخر، أرى أنه سمِّي بغير اسمه، وهو واو الإشباع في نحو قوله تعالى: ((إن يسألكموها))، فهذه الواو قد أشبعت بها الميم الدالة على الجمع حقاً، ولكنَّ مهمة هذه الواو أكبر من أن تكون إشباعاً فقط، فلو سميت: (واو التسويغ) لكان ذلك أدق في التعبير؛ وذلك أنها سوَّغت الانتقال من الميم إلى الهاء. والله أعلم سبحانه.

(٤) (حيث)

هذه الأداة التي غدت كالشمَّاعة، كل يعلق عليها ما راق له. وإنما (حيث) في معناها واستعمال العربي لها ظرف مكان مبني على الضم في محل نصب على الظرفية، ولكنَّ الإعلاميين والخطباء، بل كل متحدث، ابتكروا لها معاني عدة، فمن معانيها عند بعضهم:

١- أنها تقع حشواً، نحو قول أحدهم: (ألقى فلان كلمة جامعة أعجب بها الحاضرون، حيث يقول...). احذف (حيث) ترَ الكلام مستقيماً. أقول : وكثيراً ما نجد في العربية أساليب فيها كلمات وقعت حشواً، ولكنَّ واضعها إنما هو صاحب اللغة الأول. أما المتأخرون فإنما هم مقيِّدون لا مقعِّدون.

٢- أنها تقع موقع التفصيل لما سبقها، نحو قولهم: (أتى فلان بما يزري، حيث فعل كذا، وفعل كذا، وفعل كذا. وكان يغني عن (حيث) هذه أداة أخرى كـ (قد) ، مسبوقة بالفاء.

٣- أنها تقع موقع (حتى) الابتدائية، نحو قولهم: (تراكمت الأعمال على فلان، حيث لم يجد وقتاً لنفسه).

٤- أنها تقع موقع التعليل، بل إن في بعض أنظمة القانون والتحقيق مصطلحاً اسمه: (الحيثيات)، ويعنون به المسبِّبات للحدث الذي هو قيد التحقيق، ومن أمثلته عندهم: (حيث إن فلاناً اعتدى على فلان وجب عليه كذا وكذا)، وإنما معناها هنا: لأن فلاناً اعتدى على فلان وجب...

والله أعلم سبحانه.

(٥) (حتى)

(حتى) لها معان، ولكنْ ما أريد الحديث فيه هو (حتى) الابتدائية، و(حتى) التعليلية.

مثال حتى الابتدائية: قوله عليه الصلاة والسلام في شأن الميت إذا دُفن: "حتى إنه لَيسمعُ قرع نعالهم".

مثال التعليلية: قوله تعالى: ((هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينَفَضُّوا)). أي من أجل أن ينفضوا.

وترى وتسمع من يقرأ حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله، والذين ذكر منهم: "ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلمُ شماله ما تنفق يمينه". يقرؤونه بنصب الفعل المضارع (تعلم) وهو خطأ؛ ذلك أن المعنى: إن هذا الرجل بلغ به إخفاء الصدقة مبلغاً لا يمكن وصفه، حتى إن يده اليسرى لو كانت تحس وتعلم بالأشياء لم تعلم، لشدة إخفائه، وإذا نصبنا كما هو حال كثير من الخطباء والوعاظ والإعلاميين، أقول: وإذا نصب الفعل (تعلم) كان المعنى: إن هذا المتصدق أخفى الصدقة عن شماله، من أجل أنْ لا تعلم أنه متصدق.

وليس هذا هو المراد، ولا يمكن تصوره، فإن اليد لا حاسة لها؛ فتشعرَ بما يجري حولها.

والله أعلم سبحانه.

(٦) (ناهيك)

يخطئ بعض الإعلاميين والخطباء والوعَّاظ في استخدام كلمة (ناهيك)، فيوردونها على غير إيرادها الصحيح، فيقولون – مثالاً-: (قتل بشَّار النساء والأطفال، ناهيك عن التنكيل بهم). فالذي يتبادر إلى ذهن المستمع لهذه العبارة أن المتكلم يقول: (ولا تسأل عن التنكيل بهم، فذاك شيء مسلَّم به) .

والحق أن إيراد العرب لكلمة (ناهيك) ليس كإيراد المحْدَثين لها، فالعرب تقول: (ناهيك منْ فلان)، تقول ذلك ابتداءً لا استدراكاً، أي تعبِّر بهذه الكلمة في ابتداء الكلام، لا في وسطه، ومعنى (ناهيك من فلان): حسبك، أي كافيك، والباء فيه زائدة.

قال ابن منظور: "ورجل نَهْيُكَ من رجل، وناهيكَ من رجل، ونَهاكَ من رجل، أي: كافيك من رجل، كله بمعنى (حسب)، وتأويله: أنه بِجِدِّه وغَنائه ينهاك عن تطلُّب غيره"ا.هـ.

فالإيراد بين المتقدمين والمحدثين مختلف، والمعنى مختلف أيضاً.

ويمكن أن ينوب عن تعبير المحدثين للدلالة على ما أرادوا أن يقول أحدهم: (ولا تسلْ عن التنكيل بهم، فذاك شيء

مسلم به). والله أعلم سبحانه.

(٧) همزتا القطع والوصل

يخطئ كثير في اعتقادهم أن هذه العلامة (ء)، أنها هي الهمزة ذاتها في همزة القطع، والصواب أن الهمزة هي ذلك القائم، وإنما هذه العلامة رأس عين همزة القطع فقط. انظر معي إلى الرسم، ترَ صدق ذلك؛ همزة القطع اجتزأنا رأس العين فيها من كلمة (ق ط ع)، فوضعناها فوق همزة القطع ، إشارة من الواضع إلى أنها همزة قطع، وأما همزة الوصل فأهملت الهمزة ولم يرمز لها بشيء، إلا في الرسم العثماني في المصحف الشريف، فإنك لو تأملت ودقَّقت قليلاً لتبيَّن لك ذلك، انظر إلى أول آية في القرآن الكريم: (الحمد لله رب العالمين) تر أن الهمزة في كلمة (الحمد) قد وضع فوقها رأس الصاد، إشارة إلى أنها همزة وصل.

فتلخَّص لنا من هذا كله أن الهمزة في باب همزتي القطع والوصل، أنها ذلك القائم ، وأما هذه (ء) فإنما هي علامة فقط على أن الهمزة همزة قطع.

وأما الهمزتان المتوسطة والمتطرفة، فإن هذه العلامة (ء) فيهما هي الهمزة نفسها، وإنما توضع لها التُّكأة المناسبة، إما الياء، وإما الواو، وإما الألف، فإن لم يناسبها شيء من ذلك ألقيت على السطر.

والله أعلم سبحانه.

(٨) (في ما)

ويعنون بها: (على حين)، يقولون: (وأخمدت فِرَقٌ من رجال الدفاع المدني النار، فيما سارعت فرق أخرى إلى إخراج المحتجزين داخل المبنى). والصواب: (على حينَ سارعت...)، والجملة الفعلية في محل جر بالإضافة. أما (حين) فإن كان تاليها فعلاً ماضياً فهي مبنية على الفتح، كقول الشاعر:

يمُرُّون بالدَّهْنا خِفافاً عِيابُهمْ
ويرجعْنَ مِنْ دارينَ بُجْرَ الحقائبِ
علَى حينَ ألهَى الناسَ جُلُّ أمورهم
فندلاً زُريقُ المالَ نَـدْلَ الثَّعالب

والشاهد إنما هو في البيت الثاني، لكني أوردت البيت الأول ليتبيَّن المقصود، وأنهما مرتبطان، فالشاعر يقول: إننا سرقنا أموالاً كثيرة من دارين، على حين كان الناس مشتغلين بأمور معاشهم .

أعود فأقول: إذا أردت أن تستدرك فاعمد إلى هذا الأسلوب: (على حين).

والله أعلم سبحانه.

(٩) (ليت)

(ليت) حرف ناصب لاسمه رافع لخبره، واسمه مفرد، أما خبره فيجيئ مفرداً وجملة وشبه جملة، لكنك تسمع أحياناً من بعض الخطباء والوعاظ من يأتي باسمها جملةً، يقول: (ليت أني أزور مكة المكرمة). وهو بهذا أقحم (أنَّ) بين (ليت) واسمها، وهو خطأ أسلوبي. ولعل الذي سوَّغ لهذا الواعظ وذلك الإعلامي وذلك الخطيب قولُ ذلك الشاعر:

فياليت أن الله يغفر ما مضى
ويأذنُ في توباتنا فنتوبُ

.والله أعلم سبحانه.

(١١) (لا بدَّ)

من الأخطاء الواردة من بعض الإعلاميين والخطباء والوعاظ وغيرهم: إحلال (أنَّ) المثقَّلة محل (أنْ) المصدرية مع كلمة (لا بدَّ)، فتسمع من يقول: (لا بد أنَّك تأتي بعمرة أخرى مكان العمرة الأولى). وتصويبها: (أنْ تأتي...). ولعل الخطأ هنا ورد من الخلط بين أسلوبي: (لا بد أنْ)، و(لا شك أنَّ). فكلمة (لا شك) خبر، وهي تفيد تأكيد وقوع الفعل، أما (أنْ) المصدرية فهي مع (لا بد) إنشاء، وهي تفيد المستقبل، فالفرق بينهما واضح. والله أعلم سبحانه.

(١٢) (فقط)

من الأخطاء التي يقع فيها بعض الإعلاميين وغيرهم: تحديد مكان كلمة (فقط) في الجملة. و(فقط) اسم فعل مضارع، بمعنى (يكفي)، والفاء فيها لتزيين اللفظ، فإذا قلت: (حضر أخوك فقط)، فإنك تعني أنه لم يحضر غيره، أي قصرت الحضور عليه.

ولكنك تسمع من يُجِلُّ (فقط) هذه في غير محلها الصحيح، مثالاً: (يدخل الضيوف فقط في القاعة الكبرى). فهذه الجملة معناها قصر دخول القاعة الكبرى على الضيوف، أي لا يصح أن يدخلها غيرهم، ولكنْ تجد من يعبر بهذه الجملة وهو يقصد قصر دخول الضيوف في القاعدة الكبرى، أي لا يصح أن يدخل الضيوف قاعة أخرى غيرها، وهو بهذه الصياغة مخطئ. فـ (فقط) يؤتى بها بعد من تريد قصر الفعل عليه، أما إذا أخللت بمكانها فإن المعنى سيتغير لا شك. والله أعلم سبحانه.

(١٣) (حتى)

يخطئ بعض الإعلاميين وغيرهم، فيدخل الواو على (حتى) الابتدائية

أو العاطفة، فتسمع من يقول: (وحتى الأطفال لم يسلموا من لظى الحرب). هذا في الابتدائية، وتسمع من يقول في العاطفة: (جاءت العائلة كلها، بل وحتى الخدمُ) والأصل الاستغناء عن هاتين الأداتين: (بل) والواو، لأن (حتى) نفسها عاطفة في مثل هذا المثال. وإذا كان الحديث في (حتى) فإن من الحسن أن أنبه إلى خطأ آخر يقع فيه بعض الإعلاميين، وهو إقحام الواو في (حتى) الغائية، نحو قول أحدهم: (نحن معكم من الآن، وحتى الصباح). فهذه الواو يجب أن تطَّرح.

والله أعلم سبحانه.

(١٤) (ولا سيّما)

هذه الأداة مكونة من الواو، و(لا) النافية للجنس، وكلمة (سيَّ) مبنيةً على الفتح، لأنها اسم (لا) النافية للجنس، ومعناها: (مِثْل)، و(ما) هي الزائدة إن جررت ما بعد (ولا سيما)، وهي الموصولة إن رفعت. جاء عن ابن منظور: "والسِّيُّ: المِثْل" وقال: "والسِّيَّانِ: المِثْلان"، وقال: "وقولهم: (لا سيما): كلمة يستثنى بها"، ثم راح يفككها، قال: "وهو (سِيٌّ)، ضُمَّ إليه (ما). والاسم الذي بعد (ما) لك فيه وجهان:

١- إن شئت جعلت (ما) بمنزلة (الذي)، وأضمرت ابتداءً ورفعت الاسم الذي تذكره بخبر الابتداء، تقول: (جاءني القوم، ولا سيَّما أخوك)، أي: (ولا سيَّ الذي هو أخوك). وإن شئت جررت ما بعده، على أن تجعل (ما) زائدة، وتجر الاسم بـ (سيٍّ)، لأن معنى (سيٍّ) معنى (مِثْلٍ) ا.هـ.

أقول: هذه الأداة تخبَّط فيها المثقَّفون أيَّما تخبُّط؛ فمنهم من يجردها من الواو، ومنهم من يجردها من (لا) النافية للجنس، وأما تاليها فيرفعونه أو يجرُّونه، لا على هُدى وبصيرة، بل على التهدِّي.

والله أعلم سبحانه.

هذا نموذج من الأخطاء في الأدوات النحوية . وهي كما سبق تربو على الستين أداة . وإن أردتم سعادتكم أن أرسل إليكم البقية فأنا على أتم استعداد .